ميشال كروزييه والفاعل التنظيمي

تقديم

تمثل مقاربة ميشال كروزييه إحدى أهم المقاربات في سوسيولوجيا التنظيمات في القرن العشرين،إذ انتقلت بدراسة التنظيم من منطق القواعد الجامدة والتراتبية البيروقراطية إلى منطق التفاعلات، واستراتيجيات الفاعلين،ومساحات اللاعقلانية داخل التنظيم، وقد منح هذا التحول دراسة التنظيمات بعد ديناميا بإعتبارها فعل وعمل وليست مجرد بنى جامدة. والعنصر الأكثر أصالة في فكر كروزييه هو مفهوم اللعبة التنظيمية الذي سمح بفهم التنظيم باعتبارها فضاء للمساومات،والتفاوض وتبادل الموارد وصناعة النفوذ.

أولا: التعريف بالشخصية:

يعتبر ميشال كروزييه أحد أبرز علماء الاجتماع الفرنسيين في القرن العشرين، ومؤسس مايعرف بـ: المدرسة السوسيولوجية للتحليل التنظيمي في فرنسا ولد سنة 1922 في باريس، وتوفي سنة 2013، وامتد نشاطه العلمي لأكثر من ستة عقود شهدت تحولات كبرى في الفكر السوسيولوجي والتحليل التنظيمي.

تميز كروزييه بكونه من أوائل المفكرين الذين تجاوزوا المقاربات الكلاسيكية في دراسة التنظيمات، إذ أنصب اهتمامه على دينامية الفعل التنظيمي داخل التنظيم، وعلى كيفية نشوء أنماط السلطة والضبط والمقاومة من خلال التفاعلات اليومية بين الأفراد . وقد جمع كروزييه في تكوينه بين الدراسة الأكاديمية والانخراط الميداني المكثف، إذ نهج منهجا تجريبيا مبينا على الملاحظة المباشرة، والمقابلات، وتحليل الحالات وكان من أبرز أعماله كتاب: ظاهرة البيروقراطية سنة 1964 وكتاب الممثل والنظام(بالاشتراك مع ايرارد فريدبرغ)اللذين أسسا لمفهومه الشهير اللعبة التنظيمية

عُرف عنه أيضا اهتمامه بالسياسات العمومية واصلاح الادارة الفرنسية،حيث شارك في عدة لجان إصلاحية وكانت تحليلاته حول مقاومة التغيير والاغلاق البيروقراطي ذات أثر كبير في فهم تعقيدات المنظمات الحكومية. وتختصر القيمة العلمية لشخصه في كونه:

- سوسيولوجيا ميدانيا أعاد الاعتبار للملاحظة المباشرة داخل التنظيمات.

- مُنظرا للسلطة كتحكم في مجالات عدم اليقين.

- صاحب مقاربة تحليلية دينامية تجعل التنظيمات فضاءات تفاعلية وليست مجرد هياكل جامدة.

- رائد في تطوير مفهوم اللعبة التنظيمية التي تعد حجر الأساس في فهم السلوك التنظيمي المعاصر.

وبذلك أصبح ميشال كروزييه واحدا من أهم الوُجوه التي غيرت طريقة دراسة التنظيمات، وفتحت الباب أمام مقاربات جديدة في علم الاجتماع التنظيمي والسياسات العمومية

ثانيا؛ مفهوم الفاعل عند ميشال كروزييه:

يحتل مفهوم الفاعل l'acteur مكانة مركزية في سوسيولوجيا التنظيمات لدى كروزييه،لأن التحليل الميكانيكي أو البيروقراطي للتنظيم لايكفي لفهم دينامياته العميقة.فالتنظيم عنده لايفهم إلا من خلال الفاعلين واستراتيجيتهم،وليس عبر القوانين والهيكلة الرسمية فقط.

1- تعريف الفاعل: يعنى به الموظف الذي لايخضع آليا للقواعد الرسمية،بل هو كائن استراتيجي يمتلك هامشا من الحرية يسمح له بالتأثير في قرارات التنظيم أو مسار العمل حتى داخل أكثر الأنظمة البيروقارطية صرامة، وبالتالي فإن الفاعل هو:

شخص يحسب مكاسبه وخسائره داخل التنظيم.

شخص يطور من استراتيجيات التفاوض

شخص يستغل مناطق عدم اليقين ليعيد إنتاج أو تعديل مواقع السلطة،بهذا المعنى يصبح الفاعل مركز التفسير لأي تغيير أو انسداد تنظيمي.

2- خصائص الفاعل:

للفاعل مجموعة خصائص حددها كروزييه كمايلي:

يمتلك دائما هامش حرية: مهما كانت القواعد صارمة،فإن الفاعل يملك قدرة على التحرك والتأثير داخل الثغرات التي لاتغطيها الاجراءات، هذا الهامش هو مايمكنه من دخول اللعبة التنظيمية

يمتلك الاستراتيجية: من منطلق أن الفعل الاجتماعي ليس عفويا بل يبنى وفق موازنة المنافع المُمكنة والتكلفة المحتملة،يميل الفاعل إلى اتخاذ القرارات التي تزيد من تأثيره وتخدم مصالحه.

مفاوض مع التنظيم: لايخضع الفاعل تنظيميا فحسب،بل يدخل في علاقات قوة مع فاعليين آخرين،ويستطيع تعديل القواعد عمليا عبر ممارساته اليومية، لهذا يرفض كروزييه النظر إلى التنظيم كنظام يكمل بعضه البعض بشكل متناغم.

يتحكم في منطقة عدم اليقين: الفاعل يكتسب قوة داخل التنظيم عندما يسيطر على جانب من عدم اليقين،مثل المعرفة التقنية،أو فهم خطوط العمل أو المعلومات غير المتاحة للأخرين، وهذا التحكم هو مصدر سلطته الحقيقية.

3- الفاعل داخل اللعبة التنظيمية:

يرى كروزيه أن التنظيم عبارة عن لعبة تتقاطع داخلها استراتيجيات الفاعلين، لا أحد يملك السلطة المطلقة، ولاأحد بلا سلطة مطلقا،إن ما يحدد تأثير الفاعل هو:

موقعه داخل شبكة العلاقات،قدرته على التحايل أو التفاوض، امتلاكه لمورد من موارد عدم اليقين،ورغبته في تحسين وضعه التنظيمي وبذلك يتحدد الفاعل لامن خلال موقعه الرسمي فقط ،بل من خلا فعاليته داخل دينامية اللعب

ثالثا:الاشكالية المركزية في نظرية كروزيه

تقوم نظرية ميشال كروزيه على إشكالية محورية تُوجه كل تحليلاته للتنظيمات، ويمكن صياغتها كالتالي: لماذا تفشل التنظيمات البيروقراطية رغم عقلانيتها الشكلية في إنتاج عقلانية فعلية:

هذه الاشكالية تكشف تناقضا بنيويا: فالتنظيمات الحديثة تبنى على قواعد عقلانية تهدف إلى الشفافية،الانضباط والفعالية،لكنها في الواقع تنتج جمودا،مقاومة،صراعات وسلوكيات غير رشيدة.وهنا يأتي

دور كروزيه في كشف هذا التناقض البنيوي عبر تحليل اللعبة التنظيمة و مجالات عدم اليقين، واستراتيجيات الفاعلين.

1- منطلق الاشكالية: العقلانية المفقودة داخل التنظيمات البيروقراطية: يرى كروزيه أن البيروقراطية التي يفترض أنها أداة للعقلانية تتحول في الواقع إلى نظام مغلق ينتج عكس ماتطمح إليه: قرارات بطيئة، مبادرات محدودة، تكرار الأخطاء، مقاومة قوية للتغيير، وهذا التناقض هو الجذر الذي بنى عليه كروزيه مشروعه السوسيولوجي.

2- تفسير الاشكالية عبر مفهوم القواعد الصارمة: يبدأكروزيه بتحليل القواعد البيروقراطية نفسها:

القواعد المكتوبة صُممت لضمان الحياد وتقليل التعسف،لكنها في الواقع تلغي المرونة وتخلق مساحات رمادية لاتغطيها النصوص،هذه المساحات تصبح لاحقا مصادر سلطة تستغلها مجموعات الفاعلين للمناورة وبالتالي،العقلانية الشكلية –القوانين- تُنتج لاعقلانية عملية – التحايل عليها

3- استراتيجيات الفاعلين بوصفها مفتاح الاشكالية: إحدى نقاط القوة في نظرية كروزيه أنه لايرجع العقلانية للأفراد بوصفهم مشكلات بل إلى تفاعلات الفاعلين،ومصالحهم واستراتيجياتهم داخل بنية مقيدة،فالفاعل ليس عنصرا منفذا فقط،بل يمتلك مصلحة، هامش حرية، مورد قوة،قواعد غير رسمية،تحالفات،قدرة على المناورة،وهكذا تتحول البيروقراطية إلى مسرح لتصادم استراتيجيات محكومة ببنية جامدة.

4- مجال عدم اليقين: جوهر الاشكالية:الادارة تريد السيطرة لكن لاوجود لتنظيم خال من عدم اليقين،هذه المساحات غير المغطاة من القواعد تسمح للفاعلين بالسيطرة عليها وتحويلها إلى أدوات نفوذ مثال:

التقنيون يمتلكون المعرفة بالآلات،الاداريون يمتلكون معرفة بالاجراءات،العمال يمتلكون القدرة على تعطيل السير المهني،أي كل واحد منهم يتحكم في جزء من عدم اليقين وبذلك تصبح البيروقراطية ساحة صراع غير معلن

5- اللعبة التنظيمة كإطار لشرح الاشكالية: كل تنظيم ينتج لعبة تنظيمية تتشكل عبر: مصالح متناقضة،قواعد رسمية مغلقة،مساحات من عدم اليقين،استراتيجيات فردية وجماعية،هذه اللعبة تؤدي إلى مقاومة مستمرة لأي تغيير،جمود مزمن،تفاعل شكلي بين المستويات الهرمية،انفصال الادارة عن الواقع وانتاج عقلانية ظاهرية فقط. وهذا قلب الاشكالية: التنظيم لايشتغل كما هو مكتوب،بل كما يجري التفاوض عليه يوميا داخل اللعبة التنظيمية.

6-الاغلاق البيروقراطي: النتيجة النهائية للاشكالية:يُظهر كروزييه خاصة في دراسته للبريد الفرنسي أن التنظيمات تتجه إلى: إغلاق نفسها أمام التغيير،التقيد الحرفي باللوائح،تجنب المسؤولية،خلق دوائر متكررة من القرارات المؤجلة،هذا الاغلاق هو النتيجة النهائية للاشكالية المركزيةوبالأحرى العقلانية البيروقراطية تعيق العقلانية العملية.

إن الاشكالية المركزية في نظرية كروزييه ليست مشكلة تقنية،بل مشكلة اجتماعية وتنظيمية تتعلق بطبيعة التفاعل الانساني داخل البنى البيروقراطية،وتقوم على أن التنظيمات لاتفشل لأن قواعدها ضعيفة،بل لأنها مغلقة بحيث تمنح الفاعلين فرصا لتحويل القواعد إلى أدوات نفوذ وإنتاج سلوكيات غير عقلانية،هذه الاشكالية قادته إلى تطوير مفهوم اللعبة التنظيمية،وجعلته أحد أهم أعلام سوسيولوجيا التنظيمات.

... بالتوفيق مع المحاضرة القادمة ...